خدمات الإمام الشيخ أحمد رضا خان في مجال الدين والسياسة (دراسة تحليلية)

The contribution of Imam Sheikh Ahmad Raza Khan in the field of religion and politics (Analytical study)

*د.محمد ظفر اقبال الجلالی

**ماجد نواز ملک

Abstract

Imām Aḥmad Raḍā Khān was a scholar, a poet, a great writer, a famous jurist, a great exegete, a great modernizer, and a collector of Islamic and Arabic sciences. He delved into Islamic jurisprudence, its origins and its particulars, because everyone who excelled and excelled in Islamic jurisprudence must be the most prolific in hadith and interpretation. Sheikh Ahmed Raza Khan was one of the great thinkers and reformers who carried out Islamic advocacy and religious services. Shaikh Aḥmad Raḍā Khān resisted and responded to heresies and performed an important role in reviving the purified Sunnah and killing the heinous heresy and authoring books and pamphlets to reform the Muslim people and the Islamic community. Imām Aḥmad Raḍā Khān was an unparalleled jurist, an insightful scholar, a thinker with a right vision, and a wise and thoughtful person. Imam Ahmad Raza Khan made some contribution to political activities, and expressed his right opinion in them in the light of the Noble Qur'an and the Sunnah of the Prophet. Imam Ahmad Raza Khan raised his voice Strongly against solidarity between Muslims and Hindus So great that it reverberated throughout the vast subcontinent.

Keywords: Ahmad Raza, Islamic jurisprudence, political activities, solidarity

ولد شاعرنا الإمام الشيخ أحمد رضا خان البريلوي قبل الثورة الهندية بعام فى الظروف القلقة والأحداث الرهيبة، وكانت الهند آنئذ تغلي كالمرجل من ظلم الاستعمار البريطاني الغاشم، فكان لذلك تأثير قوي في حياة

* رئيس واستاذ الحديث، جامعة اسلام آباد، اسلام آباد-

** استاذ الفقه، جامعة اسلام آباد،اسلام آباد -

الشيخ أحمد رضا خان من حيث حبه للإسلام والمسلمين، وكراهيته للاستعمار البريطاني بل كل ملة تخالف دين الإسلام.

أ:اسمه ومولده:

هو الشيخ محمد أحمد رضا خان بن الشيخ محمد نقي علي خان القادري بن الشيخ محمد رضا علي خان النقشبندي بن الحافظ الشيخ كاظم علي خان بن الشيخ محمد أعظم خان بن محمد سعادت يار خان بن سعد الله خان[1]، وولد الشيخ أحمد رضا خان في العاشر من شهر شوال عام (1279هـ) الموافق للرابع عشر من شهر يونيو سنة (1856م) بمدينة "بريلي" الواقعة فى ولاية أتربرديش الهندية.[2] وقد اتفق المترجمون على أن اسمه محمد وسماه جده أحمد رضا خان فاشتهر بهذا الاسم، وكان يستخدم "رضا" لقباله فى الشعر العربي والفارسي والأردي، ولكنه اشتهر فى شبه القارة (باكستان و الهند و بنجلاديش) بلقب "أعلى حضرت" فكم من كتب ومقالات كتبت حول شخصية شاعرنا بعنوان لقبه هذا، ونذكر بعضها على سبيل المثال: سوانح أعلى حضرت للشيخ بدر الدين القادري، وحياة أعلى حضرت[3] للشيخ ظفر الدين البهاري، وتذكرة خلفاء أعلى حضرت للشيخ محمد صادق القصوري والدكتور مجيد الله القادري وخلفاء أعلى حضرت للدكتور محمد مسعود أحمد والشيخ محمد عبد الستار طاهر.[4]

والجدير بالذكر أن الشيخ أحمد رضا خان اختار لنفسه "عبد المصطفى" لقباله نتيجة لحبه الشديد واتباعه السديد للنبي الكريم كما يقول في شعره الأردي مفتخرا بهذه النسبة:

خوف نہ رکھ رضاؔ ذرا تُو تو ہے عبدِ مصطفیٰ

تیرے لیے امان ہے تیرے لیے امان ہے [5]

ونقله الدكتور حسين مجيب المصري إلى الشعر العربي:

(رضا) لا تخف أنت عبد الرسول

بذا كل خوف لديك يزول [6]

---

(1) الشيخ بدر الدين القادري، سوانح اعلى حضرت (أحوال الحضرة العالية) ص: 93.

(2) الدكتور محمد مسعود أحمد، الشيخ أحمد رضا خان و شيئ من حياته و أفكاره و خدماته، ص: 16.

(3) هذان الكتابان أهم المراجع لترجمة شاعرنا.

(4) و جمعت فى هذين الكتابين تراجم تلاميذ شاعرنا و خلفائه.

(5) الشيخ أحمد رضا خان، حدائق بخشش:117/1.

(6) صفوة المديح ترجمة عربية منظومة لديوان الشيخ أحمد رضا خان الأردي "حدائق بخشش" للدكتور حازم المصري و الدكتور حسين مجيب المصري: 124/1.

واستخدمت كلمة العبد هنا بمعنى الخادم لا الغير كما جرى العرف في المسلين في باكستان والهند وبنجلاديش ومصر وغيرها، وليس هذا شركا كما توهم بعض الناس، لأنه ليس المقصود به إلا أنه الخادم المخلص للرسول الأعظم كما يقول الدكتور حازم محمد أحمد محفوظ المصري: "ليس المقصود به إلا أنه الخادم المخلص للرسول الأعظم محمد بن عبد الله الذي أرسله الله الواحد القهار رحمة للعالمين، وإننا لنجد آلافا من الناس في مصر قيدوا في شهادات الميلاد الخاصة بأولادهم إلى الفخر، ويتجلى منه مدى الهيام في العشق المحمدي" [7].

ب:نشأته وتربيته:

قد نشأ الشيخ أحمد رضا خان وترعرع في بيت علم وفضل حيث كان آباؤه وأجداده هم قمة رجال عصرهم في شتى ميادين العلم والأدب، لاسيما في مجال القرآن الكريم والحديث الشريف والتصوف والزهد والتدريس والإفتاء والتصنيف والتأليف، ليس هذا فحسب بل كانوا أصحاب الأراضي الواسعة وتولى بعضهم منصب الوزارة، فكل هذا له أثر بالغ في نشأة الشاعر وتربيته، لاشك أن البيئة والأسرة منذ النشأة الأولى هي التي تشكل الشخصية الفذة وتظهرها، وكان أجداد الشيخ أحمد رضا خان هم قمة رجال عصرهم في شتى نواحي العلم والمعرفة .... ولهذا نشأ إمامنا متقلبا في النعمة، وكان مزينا بالتقوى والطهارة، وكان متبعا للسنة النبوية، وكان مزينا بأوصاف حسنة في الطفولة، وكان متصفا بذكاء خارق وذاكرة قوية.[8]

وهكذا نشأ وتربى على يد والده وجده وهما كانا عالمين كبيرين ومتخلقين بالخلق القويم المستمد من القرآن والسنة.

وهكذا يحدثنا الأستاذ الدكتور ممتاز أحمد سديدي الأزهري حيث يقول: "وقد أدت هذه البيئة إلى تخريج شاعر وأديب عربي كبير وهو الشيخ أحمد رضا خان ويكفيه فخرا أنه بدأ التأليف باللغة العربية وكان عمره إذ ذاك ثلاثة عشر عاما، ترى ماذا تقول في رجل بدأ يؤلف بلغته الثالثة وهو في هذه السن المبكرة ..... لكنها على كل كانت ميراثا طيبا أتت إليه عن طريق والده ..... وبالتالي كان العربية ذات جذور في هذه الأسرة وقد أثمرت ثمرات طيبة اهتم بها الباحثون.

وقد ظهرت آثار هذه التربية في صغر سنه، فاستمسك بالأخلاق الفاضلة والقيم النبيلة من التواضع والحلم والتقوى والإخلاص وغير ذلك كما يحدثنا ملك العلماء الشيخ محمد ظفر الدين البهاري[9] عن خلق الشيخ أحمد رضا خان قائلا: "كانت كل أعماله لله فقط، ولم يكن يرغب في مدح أحد من الأمراء كما لم يخف في الله لومة

---

[7] الدكتور حازم محمد أحمد محفوظ المصري، الإمام الأكبر المجدد محمد أحمد رضا خان و العالم العربي، ص: 67.

[8] الدكتور ممتاز أحمد سديدي، الشيخ أحمد رضا البريلوي الهندي شاعراً عربياً، ص: 411.

[9] هو من تلاميذ الشيخ أحمد رضا خان و يرجع إليه الفضل أنه من أوائل الكتاب الذين ترجموا حياة الشيخ أحمد رضا خان فى كتابه الشهير بالأردية و عنوانه: حياة أعلى حضرت (حياة الحضرة العالية).

لائم، وكان خير مصداق لقول الرسول[10] "من أحب لله، وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله، فقد استكمل الإيمان".[11]

في ضوء هذا الكلام يمكننا أن نقول: "إن الشيخ أحمد رضا خان تربى تربية إسلامية عالية على يد والده وجده وكان لهذه التربية أثر عميق في تكوين شخصيته الإسلامية حيث تمسك طوال حياته بالصبغة الإسلامية منذ نعومة أظفاره، وإذا كان حاله هو هذا وهو صغير فكيف به عند النضج وبلوغ العقل من التمام ما أراد الله أن يبلغ، لا شك في أننا وجدنا ذلك واضحا جليا حين عرفنا كيف يفكر سياسيا وعلميا، وسوف نستشهد على ذلك فيما بعد.

ج: آباؤه وأجداده:

لقد كان لآباءه وأجداده أثر كبير في تربيته يمكن أن نذكر هؤلاء الأفذاذ فهم:

- والده العلامة الشيخ محمد نقي علي خان ولد مستهل رجب عام 1246هـ بالهند، ونشأ في بيت العلم والعرفان، وتفقه على أبيه الفاضل محمد رضا علي خان، وصنف تصانيف جليلة تاقت خمسة وعشرين، من أجلها جواهر البيان تفسير سورة الانشراح، وسرور القلوب في ذكر المحبوب، وأصول الرشاد لقمع مباني الفساد وغير ذلك [12] وتوفي سلخ القعدة عام 1298هـ [13] ويحدثنا الدكتور حسين مجيب المصري [14] عنه أثنا حديثه عن تربية الشيخ أحمد رضا خان قائلا: "فقد كان لأبيه باع وقدم راسخة في العربية ..... الخ.[15]
- جده العلامة الشيخ محمد رضا علي خان النقشبندي، فكان عالما وفقيها عظيما، بحر التصوف والزهد، يذكر الأستاذ المفتي شجاعت علي خان فيقول: كان خطيبا بليغا وبارعا فى علوم التصوف، متأدبا بآداب الفاضلة [16] توفي عام 1272هـ

---

[10] الإمام أبو داؤد بن الأشعث ، سنن أبي داؤد، باب الدليل على زيادة الإيمان و نقصانه ، رقم الحديث: 4681.

[11] الشيخ ظفر الدين البهاري، حياة أعلى حضرت: 1/26،27.

[12] و قد ذكر الأستاذ الدكتور حازم المصري خمسة و عشرين مؤلفاله (انظر محمد أحمد رضا خان و العالم العربى 21، ص: 52....53)

[13] هذا ملخص ما ذكر الشيخ أحمد رضا خان فى ترجمة والده، انظر فى هذا مؤلفه "أزهار الأنوار من صبا صلوة الأسرار"، ص: 647.....648.

[14] أستاذ كرس بكلية الآداب من جامعة عين شمس و العضو بالجمع اللغوي و الحاصل على وسام الجدارة من الحكومة الباكستانية.

[15] مولانا أحمد رضا خان و اللغة العربية .....مقال يتضمنه الكتاب التذكارى، ص: 67.

[16] من هو أحمد رضا؟ ص: 16.

- والجد الثاني لأديبنا هو الشيخ محمد كاظم علي خان، وكان يرأس كتيبة مكونة من مائتي جندي في مدينة بدايون، وكان له أراضي كثيرة.[17]
- أما جده الثالث فهو الشيخ محمد أعظم خان، عين على منصب الوزارة في عهد المغول، ثم ترك الوزارة، وأعرض عن الحكومة، واشتغل بالعبادة والزهد ودعوة الناس إلى الله ورسوله.[18]
- كان جده الرابع الشيخ سعادت يار خان أيضا تولى المنصب في نفس العهد، أما جده الخامس سعيد الله خان، فنال منصب شش هزاري (ستة آلاف) في الجيش في عصر سلطان محمد شاه، وقد تولى لقب شجاعة جنك بهادر "أبي شجاع الحرب".[19]

د: وفاته ومدفنه:

انتقل أديبنا الشيخ أحمد رضا خان إلى جواررربه في الخامس والعشرين من صفر عام (1340 هـ) الموافق الثامن والعشرين من أكتوبر سنة (1921 م) يوم الجمعة المبارك وقت الظهر، ودفن في المدرسة بمدينة بريلي (الهند) [20] يحدثنا ابنه الأكبر وخليفته الأعظم الشيخ محمد حامد رضا خان عن وقت رحيله قائلا: "قال الشيخ أحمد رضا خان لأخيه اذهب وتوضأ، وذلك في الساعة الثانية إلا خمس دقائق، فذهب أخوه، ثم أمر الشيخ ابنه أن يتلوا سورة الرعد وسورة يسين عنده، فسمع الشيخ هاتين السورتين بالخشوع والخضوع، ثم جعل الشيخ نفسه قرأ أدعية السفر إلى أن قال لا إله إلا الله محمد رسول الله، بعد دقيقتين صعدت روحه إلى باريها، وذلك في الساعة الثانية وتسع وثلاثين دقيقة، وكان المؤذن يقول 'حي على الفلاح' وذلك يوم الجمعة 25 من صفر عام (1340هـ) والموافق 28 أكتوبر عام (1921م) ببلدة بريلي.[21]

خدمات الإمام الشيخ أحمد رضا خان في مجال الدين.

لاشك أن الإمام أحمد رضا خان كان عالما متبحرا وشاعرا وأديبا كبيرا وفقيها شهيرا ومفسرا جليلا ومحدثا عظيما وجامعا للعلوم الإسلامية والعربية، وله خدمات مشكورة وجهود جبارة في خدمة الإسلام والمسلمين وإصلاح المجتمع بمقاومة البدع والمنكرات وبث الروح الديني في قلوب المسلمين.

---

[17] الأستاذ محمد أكبر أعوان، شاه أحمد رضا بريج أفغاني، ص: 12.

[18] نفس المرجع، ص: 12.

[19] السيد مشتاق أحمد، الإمام أحمد رضا خان وأثره فى الفقه الحنفي، ص: 23.

[20] الشيخ بدر الدين القادري، سوانح إمام أحمد رضا خان، ص: 391.

[21] نفس المرجع، ص: 388.

وكذلك كانت له جهود مشكورة في خدمة القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، وكان متوسعا في التفسير والحديث كما كان متبحرا في الفقه الإسلامي وأصوله وجزئياته، لأن كل من كان له التفوق والنبوغ في الفقه الإسلامي لا بد أن يكون هو كثير البضاعة في الحديث والتفسير.

وقد ترجم شيخنا القرآن الكريم باللغة الأردية ترجمة ممتازة لا نظير لها في تراجم القرآن الكريم بالأردية وسماها "كنز الإيمان في ترجمة القرآن" وأعجب بها الناس من العوام والخواص على حد سواء، وكتب الباحثون مقالات علمية وبحوثا قيمة حول أهمية الترجمة وخصائصها، وقد بلغ عددها إلى أكثر من خمسة وسبعين بحثا ومقالا كما ذكر الشيخ عبد الستار طاهر أسماءها.[22]

وألف الشيخ بعض الكتب تفسيرا لبعض الآيات والسور من القرآن الكريم ومنها:

1. الصمصام على مشكك في آية علوم الأرحام.
2. النفحة الفاتحة من مسك سورة الفاتحة.
3. نزول آيات فرقان بسكون زمين وآسمان.
4. أنوار الحكم في معنى ميعاد استجب لكم.
5. نائل الراح في فوق الريح والرياح.
6. المحجة المؤتمنة في آية الممتحنة.
7. إنباء الحي أن كتابه المصون تبيان بكل شيئ وغير ذلك.

وكانت له تعليقات نادرة وحواشي قيمة على بعض التفاسير، ومنها:

التحشية

1. للبيضاوي.
2. للخازن.
3. للدر المنثور.
4. لمعالم التنزيل.
5. لعناية القاضي.
6. للإتقان في علوم القرآن للسيوطي.[23]

---

[22] مجلة سنوية "معارف رضا" العدد العاشر، 1990م، ص: 210 إلى 213.

[23] مجلة سنوية "معارف رضا" العدد التاسع عشر، 1999م، ص: 25.

و لما ننظر إلى تبحره وخدماته في علم الحديث الشريف نجده محدثا كبيرا لسعة إطلاعه على علم الحديث الشريف وأصوله وأسماء الرجال كما يحدثنا عمدة المحدثين حافظ البخاري الشيخ وصي أحمد المحدث السورتي عن مكانته في علم الحديث الشريف قائلا: "بأنه أمير المؤمنين في الحديث فى عصره".[24]

وتشهد بعلو كعبه في علم الحديث وأصوله بحوثه القيمة وتعليقاته العلمية على كتب الحديث، ويبلغ عددها إلى خمسة وأربعين بحثا وتعليقا.[25] ومن يريد أن يرى تبحره في علوم الحديث وأصوله فلينظر إلى تأليفاته كما يلي:

1. مدارج طبقات الحديث.
2. الفضل الموهبي في معنى إذا صح الحديث فهو مذهبي.
3. الروض البهيج في آداب التخريج.
4. حاجز البحرين الواقي عن جمع بين الصلاتين وغيرها.

وكان الشيخ أحمد رضا خان من كبار المفكرين والمصلحين الذين قاموا بالدعوة الإسلامية والخدمات الدينية الهامة بحماستهم الإيمانية وعواطفهم الجياشة، فقام برد عنيف على الفرق الضالة المنحرفة عن جادة الإسلام البيضاء، وحافظ على عقائد أهل السنة والجماعة لأنه كان عاضا بنواجذه على القرآن الكريم والسنة النبوية على صاحبها ألف ألف تحية كما هو واضح على كل من طالع كتبه ورسائله البهية.[26]

وأسهم بدور فعال في الرد على عقائد الفرق الضالة بالتصنيف والتأليف والحكمة والموعظة الحسنة، واشتهر بين معاصريه بتقواه وورعه وحبه الصادق لسيد المرسلين ﷺ وحماية المذهب الحنفي والدفاع عن عقائد أهل السنة والجماعة بفتاواه واجتهاداته التي أساسها القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وإجماع الأمة والقياس في باكستان وبنجلاديش والهند.

ولما ذهب الشيخ أحمد رضا خان إلى الحجاز مرة ثانية لزيارة الحرمين الشريفين عام (1323) للهجرة، فطرح عليه بعض الناس من الهند أسئلة عن علم النبي ﷺ، فقام الشيخ بإعداد بحث علمي باللغة العربية عن هذه المسئلة في ثمان ساعات بدون مراجعة الكتب، وجعل له اسمه التاريخي "الدولة المكية بالمادة الغيبية" وجاء فيه بأدلة حاسمة عن الفرق بين علم الله وعلم رسوله، وأثبت فيه بأنه لم يكن يعتقد بمساواة علم الرسول بعلم الله كما اتهمه بعض الناس.

ولما قرأه الشيخ صالح كمال مفتي مكة المكرمة بمجلس "الشريف" أمام حشد كبير من علماء العرب والعجم فأعجبوا بإمام أهل السنة، واعترفوا بنبوغه فى العلوم الإسلامية والعربية، وقرظ عليه حوالى خمسين عالما من علماء

---

[24] نفس المرجع، ص: 28.

[25] مجلة سنوية " معارف رضا" العدد الثامن عشر 1998م، ص: 20.

[26] الشيخ شجاعت على القادري، من هو أحمد رضا البريلوي الهندي؟ ص:13.

الحرمين الشريفين وخمسة عشر عالما من علماء الدول الإسلامية.[27] وبعض التقاريظ من أبناء جامعة الأزهر الشريف وأساتذته، لقد اهتم بنشر بعضها الدكتور حازم المصري في تأليفه "الإمام الأكبر المجدد محمد أحمد رضا خان والعالم العربي".[28] وسأل علماء مكة المكرمة عن شاعرنا أيضا عن حكم البنكنوت والأوراق المالية فأجاب الشيخ أحمد رضا خان عن هذه المسئلة الحديثة التي كانت تتضمن اثنتي عشرة نقطة، وأعد رسالة علمية قيمة باللغة العربية بدون مراجعة الكتب، وسماها بالاسم التاريخي "كفل الفقيه الفاهم في أحكام قرطاس الدراهم"[29] ونال هذا المؤلف أيضا إعجابا كبيرا من علماء العرب.

وقام الشيخ أحمد رضا خان برد عنيف للفرقة "القاديانية" الضالة الشيطانية، وقد أفتى الشيخ بتكفير القادياني المتنبي الميرزا غلام أحمد القادياني وأتباعه كما يقول الدكتور حازم المصري بهذا الصدد: ثم أفتى بفتواها الشهيرة التي تعد أول فتوى في شأن الخروج القادياني وأتباعه عن دائرة الإسلام".[30]

وألف الشيخ كتبا عديدة في رد هذه الفرقة الضالة و هي كما يلي:

1. الجزار الديباني على المرتد القادياني.
2. جزاء الله عدوه بإبائه ختم النبوة.
3. السوء والعقاب على المسيح الكذاب.
4. المبين ختم النبيين.
5. قهر الديان على مرتد بقاديان وغير ذلك.

وقيل عنه نظرا لجهوده الجبارة في ردها بأنه الذي به انهارت الفتنة القاديانية.[31]

وهكذا قام الشيخ بدور كبير ضد حركة الشيعة، وألف في ردهم ومعتقداتهم الباطلة مؤلفات تتجاوز عشرين عددا، ونكتفي بذكر أسماء بعضها كما يلي على سبيل المثال:

1. الكلام البهي في تشبيه الصديق بالنبي.
2. مطلع القمرين في إبانة سبقة العمرين.
3. لمعة الشمعة لهدي شيعة الشنيعة.
4. ذب الأهواء الواهية في باب الأمير معاوية.

---

[27] الدكتور محمد مسعود أحمد، الشيخ أحمد رضا خان البريلوي و شيئ من حياته و أفكاره و خدماته، ص: 92،93.

[28] الدكتور محمد حازم المصري، الإمام الأكبر المجدد محمد أحمد رضا خان و العالم العربي، ص: 121 إلى 126.

[29] نفس المراجع، ص: 80،81.

[30] الدكتور حازم المصري، الكتاب التذكاري، ص: 93.

[31] الدكتور محمد مسعود أحمد، الشيخ أحمد رضا خان البريلوي و شيئ من حياته و أفكاره و خدماته، ص: 49.

5. الأدلة الطاعنة في آذان الملاعنة.
6. الرائحة العنبرية عن الجمرة الحيدرية.
7. الجرح الوالج في بطن الخوارج.
8. أعالى الإفادة في تعزية الهند وبيان الشهادة.
9. جمع القرآن وبم عزواه لعثمان وغير ذلك.

وكان الشيخ أحمد رضا خان يؤيد عقيدة التوحيد، ويصر عليها، ولكنه مع ذلك يوجب الوعي بعظمة النبي الكريم وكرامته حسب ما ورد في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وأقوال السلف الصالح، وكان لا يخاف لومة لائم في إحقاق الحق و إبطال الباطل، وكان بعض الناس يتوهمون بأن إكرام الرسول وتعظيمه يؤدي إلى الشرك والبدعة، فقام الشيخ في ردهم، وقدم تحقيقاته الأنيقة ودراساته الدينية، ونذكر أسماء بعضها.

1. سبحان السبوح عن عيب كذب مقبوح.
2. تميهد إيمان بآيات قرآن.
3. المعتمد المستند بناء نجاة الأبد.
4. سلطنة المصطفى في ملكوت كل الورى.
5. الأمن و العلى لناعتي المصطفى بدافع البلاء.
6. بركات الإمداد لأهل الاستمداد.
7. إقامة القيامة على طاعن القيام لنبي تهامة.
8. حياة الموات في بيان سماع الأموات.
9. منير العين في تقبيل الإبهامين.
10. الدولة المكية بالمادة الغيبية.
11. حاجز البحرين الواقي عن جمع الصلاتين و غير ذلك.

و لا شك أن لبحوثه العلمية و جهوده الطيبة دورا كبيرا في مجال الدين.

وهكذا قام الشيخ أحمد رضا خان في مقاومة البدع والرد عليها، وأدى وظيفة هامة في إحياء السنة المطهرة وإماتة البدعة الشنيعة، وألف الكتب والكتيبات لإصلاح الشعب المسلم والمجتمع الإسلامي حينما رأى الجهال يسجدون للقبور ألف بحثا علميا تحت عنوان: "الزبدة الزكية لتحريم سجود التحية" و قال فيه بهذا الصدد: "أيها

المسلم المتبع للشريعة المحمدية! اعلم وتيقن أن السجدة تكون لله فقط، أما سجدة العبادة لغيره فشرك مهين وكفر مبين يقينا وإجماعا، وأما سجدة التحية فمن كبائر المحرمات يقينا".[32]

وكان الشيخ يمنع الناس عن تعليق صور البراق في بيوتهم وجولان النساء المتبرجات في حفلات الزواج والعرس وذات الغناء وغير ذلك من حفلات المحرمات الشرعية، وحرم المزامير على الإطلاق واستخدام آلات الموسيقى والإسراف والتبذير وغير ذلك كثير من البدع التي راجت بين الناس.[33]

والحق أن الشيخ أحمد رضا خان قام بدور فعال في مقاومة البدعة وإحياء الدين الإسلامي، وسعى سعيه المشكور في تجديد الدعوة الإسلامية ببحوثه العلمية و مؤلفاته القيمة.

خدمات الإمام الشيخ أحمد رضا خان في مجال السياسة

وكان الإمام أحمد رضا خان فقيها عديم النظير، وعالما ذا بصيرة، ومفكرا ذا رأى صائب، وحكيما مدبرا وإن لم يكن زعيما سياسيا كما يقول الأستاذ الأديب كوثر النيازي بهذا الصدد: "ومما يجب أن يفهم أن الإمام أحمد رضا خان لم يكن زعيما سياسيا، إنما كان حكيما مدبرا فالزعماء السياسيون يتبعون أهواء الشعب، وأما الحكماء المدبرون فهم يتنبئون بالمستقبل و يخططون له".[34]

فإن الإمام أحمد رضا خان ساهم بعض المساهمة في الأنشطة السياسية، و أبدى رأيه السديد فيها في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية، ولما بدأت "حركة الخلافة" بعد الحرب العالمي الأول سنة 1919م ضد الإنجليز، وكان هدفها الأساسي الحفاظ على الدولة العثمانية والمساعدة إليها حسب ما أعلن، واشترك فيها زعيم الهندوس المستر غاندي أيضا، وأصبح زعيما لها، وتحققت له الشهرة الواسعة باسم الخلافة، ونجح في خدعة المسلمين، وأقدم في العام القادم على تغيير مسار العواطف الجياشة إلى "حركة ترك الموالاة" مع الإنجليز، وكان هدفها إثارة الضغط على الإنجليز بمقاطعة مصنوعاتهم والمؤسسات التعليمية الحكومية والأهلية والاستقالة من الوظائف الحكومية وغيرها، فاتحدت الحركتان لترك الموالاة مع الإنجليز فيما بين المسلمين والهندوس. وإن المسلمين مع الأسف الشديد وإن قاطعوا الإنجليز، ولكنهم والوا الهندوس بل قيدوا أنفسهم مع الهندوس في سلسلة المواخاة والود، ومن هنا نشأت فكرة الإتحاد الوطني يعني إن المسلمين والهندوس قوم واحد لأنهم يسكنون في وطن واحد، والعجب الشديد إن بعض كبار علماء الهند أيدوا هذه الفكرة، ولكن الإمام أحمد رضا خان رأى كل هذه

---

[32] الشيخ أحمد رضا خان البريلوي، الزبدة الزكية لتحريم سجود التحية، ص: 5.

[33] و قد نشر كتابان عن الجهود التي بذلها شاعرنا فى مقاوة البدع و المنكرات.

ا: فاضل بريلوي اور امور بدعت: للشيخ محمد فاروق القادري، مجموع الصفحات: 312.

ب: إمام أحمد رضا اور رد بدعات و منكرات: للشيخ يسين اختر المصباحي، مجموع الصفحات: 581.

[34] الشيخ كوثر النيازي، الإمام أحمد رضا خان و شخصيته الموسوعية:28.

الظروف والأحداث السياسية بفراسة المؤمن، ونبه المسلمين عن المخاطر والمضرات التي كانت تختفي من وراء هذا التضامن بين المسلمين والهندوس، وأوضح أن المستر غاندي زعيم الهندوس لايمكن أن يكون ناصحا للمسلمين إزاء الهندوس، فاعتماد العلماء المسلمين على قيادته لايجدي نفعا وإنما يضر المسلمين.[35]

وكان الإمام أحمد رضا خان أول من أفتى بتحريم الموالاة مع كل كافر ومشرك قطعا في ضوء القرآن والسنة سواء كانوا من الإنجليز أم من مشركي الهند، وألف الكتاب "المحجة المؤتمنة في آية الممتحنة" لنظرية التمايز القومي سنة 1920م، وأبدى رأيه فيه قائلا: "الموالاة حرام مع كل كافر مشرك على الإطلاق، وإن كان ذميا خاضعا للحكومة، وإن كان أبا أو إبنا أو أخا أو ذا قرابة لأحد".[36]

وقد رفع الإمام أحمد رضا خان صوته ضد التضامن بين المسلمين والهندوس بقوة بالغة حتى دوت به أرجاء شبه القارة الفسيحة، وأصبح المسلمون يخالفونه، لكنهم بعد ما هدأت العواطف صاروا يعترفون ببصيرته.[37] كما تأثر الشاعر القومي لباكستان الدكتور محمد إقبال ومؤسس باكستان محمد علي جناح بفكرة شيخنا، وتغيرت أفكارهما بعد تأليف الشيخ أحمد رضا خان "المحجة المؤتمنة في آية الممتحنة" وبهذا قد وضع الإمام أحمد رضا خان حجر الأساس للنظرية التي عرفت فيما بعد بتمايز الأمتين (حركة استقلال باكستان) فإنه كان يرى أن المسلمين أمة والكفار أمة أخرى سواء كانوا بشكل الإنجليز أو الهنادكة، فلا موالاة للكفار.[38]

فصار بعد ذلك الدكتور محمد إقبال والشيخ محمد علي جناح من مؤيدي فكرة التمايز القومي، واقترح الدكتور محمد إقبال بتقسيم الهند على الصعيد السياسي في الاجتماع الذي عقده حزب الرابطة الإسلامية سنة 1930م، وكان الشيخ محمد عبد القدير قد قدم هذا الإقتراح نظريا عام 1925م، فبادر الشيخ نعيم الدين المراد آبادي المفكر الإسلامي العظيم وخليفة الإمام أحمد رضا خان (المتوفى عام 1948م) إلى تأييد هذا الإقتراح وتعضيده، ولما تمت الموافقة على قرار إقامة باكستان الإسلامية سنة 1940م بلاهور بذل ابنه الكريم المفتي محمد مصطفى رضا خان (المتوفى 1971م) و خلفاؤه وتلاميذه ومسترشدوه والمتصلون به أقصى جهودهم في إقامة باكستان، وأعلنوا تأييدها سنة 1946م بعقد حفلات في بنارس الهند التي استغرقت أربعة أيام، ولا شك أن أتباع الإمام أحمد رضا خان ونظرية التمايز القومي قد لعبت دورا هاما وطليعيا في إيجاد باكستان وتطويرها.[39]

---

(35) الدكتور مسعود أحمد، الشيخ أحمد رضا خان البريلوي وشيئ من حياته و أفكاره و خدماته، ص: 105.

(36) المرجع السابق، ص: 105، من المحجة المؤتمنة فى آية الممتحنة، للشيخ أحمد رضا خان البريلوي.

(37) الدكتور مسعود أحمد، الشيخ أحمد رضا خان البريلوي و شيئ من حياته و أفكاره و خدماته، ص: 106.

(38) الدكتور ممتاز أحمد سديدي الأزهري، الشيخ أحمد رضا خان الهندي شاعرا عربيا، ص: 86.

(39) أنظر خدمات الشيخ أحمد رضا خان البريلوي فى مجال السياسة فى الكتب الآتية.

1: أكابر تحريك باكستان (زعماء حركة باكستان) للشيخ محمد صادق القصوري.

الخلاصة

- الإمام أحمد رضا خان كان عالما متبحرا وشاعرا وأديبا كبيرا وفقيها شهيرا ومفسرا جليلا ومحدثا عظيما وجامعا للعلوم الإسلامية والعربية.
- كانت له جهود مشكورة في خدمة القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، وكان متوسعا في التفسير والحديث كما كان متبحرا في الفقه الإسلامي وأصوله وجزئياته، لأن كل من كان له التفوق والنبوغ في الفقه الإسلامي لا بد أن يكون هو كثير البضاعة في الحديث والتفسير.
- وكان الشيخ أحمد رضا خان من كبار المفكرين والمصلحين الذين قاموا بالدعوة الإسلامية والخدمات الدينية الهامة بحماستهم الإيمانية وعواطفهم الجياشة.
- قام الشيخ أحمد رضا خان في مقاومة البدع والرد عليها، وأدى وظيفة هامة في إحياء السنة المطهرة وإماتة البدعة الشنيعة، وألف الكتب والكتيبات لإصلاح الشعب المسلم والمجتمع الإسلامي.
- وكان الإمام أحمد رضا خان فقيها عديم النظير، وعالما ذا بصيرة، ومفكرا ذا رأى صائب، وحكيما مدبرا.
- الإمام أحمد رضا خان ساهم بعض المساهمة في الأنشطة السياسية، وأبدى رأيه السديد فيها في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية.

قد رفع الإمام أحمد رضا خان صوته ضد التضامن بين المسلمين والهندوس بقوة بالغة حتى دوت به أرجاء شبه القارة الفسيحة.

OOOOO

ب: تحريك آزادى هند اور سواد اعظم (حركة استقلال الهند و السواد الأعظم) للدكتور محمد مسعود أحمد.

ج: تذكره أكابر أهل السنة للشيخ محمد شرف القادري.

د: تعارف علماء أهل السنة للشيخ محمد صديق الهزاروي.

س: أحمد رضا بريلوى اور حكومت باكستان (الشيخ أحمد رضا خان البريلوي و الدولة الباكستانية) للدكتور إقبال أحمد أختر القادري.